حاجي بابا في انكلترا

تأليف جيمز موير

بقلم الأستاذ عبد اللطيف النشار

الفصل السابع والثلاثون

الشعر والحب

شغلت نفسي سائر اليوم بكتابة الخطابات التي كلفني بها السفير لكي أفرغ منها سريعاً فأتمكن من حضور العشاء في بيت المستر هوج

وأخيراً جاءت الساعة الميمونة التي تمكنت فيها من الذهاب ، فتزينت ولبست أجمل ثيابي وذهبت . وكان السفير قد أعطاني شيئاً من المال فلبست جوربا حريرياً لأول مرة في حياتي وقلت في نفسي : لو أسعدني الحظ بالزواج من حبيبتي بيسي لاطمأننت على مستقبلي وصرت في غنى عن خدمة الملوك والحكومات

ولما وقفت بباب المستر هوج زلت قدمي فتشاءمت وطرقت الباب فلم يجبني أحد ، فتشاءمت مرة أخرى وسألت نفسي هل أخطأت الطريق وهل هذا منزل آخر أم ساعتي مختلة فكان مجيئي في غير الموعد المضروب ؟ وأخيراً فتح لي الباب رجل هرم فدخلت ولكنني لم أجد أحداً من أهل المنزل في انتظاري

جلست في غرفة الانتظار ورأيت بها سجادة كالتي نصلي عليها معلقة على الحائط فنزعتها وصليت عليها وقلت لعلي جئت مبكراً فعندما أنتهي من الصلاة يكون الموعد قد حان

وعندما فرغت من الصلاة سمعت طرقاً على الباب ففتحته ووجدت سيدة في ثياب فاخرة ومعها فتاة يافعة ورجل هرم وشاب آخر . وقد اختلفت نظراتهم إليّ : أما الفتاة فإنها أخذت تنظر إليّ من وراء منظارها الذهبي نظرة اندهاش ، وأما السيدة فكانت نظراتها لا تدل على شيء من الاهتمام ، وأما الرجل الكبير فيظهر أنه رآني من قبل فلم يستغرب ، وأما الشاب فأخذ يطيل من نظراته . وبدل أن يتقدموا نحوي فيصافحوني اقترب بعضهم من بعض وأخذوا يتهامسون

وبعد قليل خرجت زوجة المستر هوج ومعها بنتاها فرحبن بالزائرين . ووقع نظرهن عليّ فصحن : « الأمير هنا أيضاً ! ثم سألنني هل جئت من زمن ؟ ورحبن بي . وقد وجدت الزائرين ينظرون إليّ نظرة أخرى عند ما سمعوا أنني أمير ، فعرفت أن الرجل المتقدم في السن عضو من أعضاء الشركة ، وتذكرت أني رأيته بين الأربع والعشرين . وأما الشاب فمن أكبر العلماء بالأمور الشرقية . وهو يعرف لغات متعددة منها الفارسية وقد جاء به عضو الشركة ليترجم أقوالي . وهو نابغة في اللغة الصينية

وأما السيدة الكبرى فهي زوج عضو الشركة والفتاة بنتهما

وأخبرتني زوجة المستر هوج بأن عضو الشركة يلقب (بالنابوب) وهو لقب هندي أطلقوه عليه لأنه أقام في الهند مدة طويلة

وأخذ المترجم الذى معه يخاطبنى باللغة الفارسية فلم أفهم كثيراً ، إذ يظهر أن اللغة الفارسية التى يعرفها هي لغة الكتب الراقية

ولما استقر بنا الجلوس جاء ضيوف آخرون من بينهم محام وطبيب وضابط بالجيش برتبة كولونيل وجاء وقت العشاء ولكن أصحاب المنزل قالوا إنهم ينتظرون لورداً دعى إلى الوليمة . وبينما نحن فى انتظار اللورد إذ فتح الباب ودخل منه بدلا من اللورد ذلك الشاب البغيض الذى ينافسنى فى الحب والذي عرفه القراء بأنه حليق الشاربين ذو مهماز فى حذائه ، وكانت رؤية هذا الشاب تبعث فى نفسى من الغيرة ما لم أعتده وما لم أكن أحب أن أوصف به ، وجلس إلى « بيسى » وأخذ يلاطفها بمثل ما كنت أتمناه لنفسى ، ولكنى لا أجرؤ عليه ، وكان مرتسماً على وجهه أنه يحب نفسه وأنه فرح بها وفى لسانه لثغة ، ولكنه مع ذلك يأبى أن يكون قليل الكلام .

وبعد نصف ساعة أخرى جاء اللورد الذى كنا فى انتظاره ، وكان فرح الأسرة به زائداً عن الحد ، وقدم له الأب بناته بعد أن قدمتهن الأم زيادة فى الحفاوة به . وزاد هذا اللورد من احترامه إياى عند ما أخبروه بأنى أمير

وعلمت أن هذا اللورد من أكبر سادات الانكليز ، ولكنه كسائر من رأيتهم من اللوردات أشبه بالدراويش منه بأصحاب المكانة السامية ، وكان إذا تحدث سكت الجميع وأحسنوا الانصات

وأخيراً بدأت الوليمة فأجلسونى فى صدرها مع اللورد وبجانبى زوجة المستر هوج ، وبجانب اللورد زوجة النابوب ؛ وكانت الأطعمة والأشربات فى الوليمة أشبه بما فى قصور الملوك منها بأمثال هذه الدار ، وكانت الأضواء الموقدة مما يبهر الأنظار

وكنت مغتبطاً بمكانى فى الوليمة إذ من الذى يصدق أننى أجلس بجانب صاحبة الدار على رأس المائدة وبجوارى أحد اللوردات

وكان العالم المترجم جالساً أمامى ليترجم ما أقوله وبجواره مارى ثم المحامى ، وبجواره بنت النابوب ثم قصير الشاربين ذو المهماز بين كريمتى المستر هوج ، وكنت شديد الغيظ من جلوس بيسى بجانبه لأنى كلما أردت أن أمتع نظرى برؤيتها لم أستطع تجنب النظر إلى وجهه البغيض

وكان اللورد قليل الكلام ولكنه إن تكلم فبأدب نادر ، وقد اتجه إليه صاحب الدار بكلياته تاركا إياى للعالم المترجم . أما عضو الشركة فكان يكثر من الكلام ، ولكن كلامه كان قاصراً على الهند وعوائدها وأخلاقها وماليتها وصناعتها . وأما زوجته فكانت تردان من الحلى بأكثر مما يحمله الدرويش الفارسى من الأحجبة ، وكانت تكثر من شرب النبيذ . وعلى ذكر النبيذ أقول إن شربه هنا علامة على الود مثل أكل الخبز والملح عندنا

وقد شربت فى هذه الليلة مع كل الضيوف ، وكانت هذه أول مرة شربت فيها منذ خرجت من إيران

وكان الطبيب رجلاً واسع المعرفة فلم يدع من أصناف الطعام صنفاً إلا تكلم عنه من الوجهة الطبية

فقال عن بعض المآكل إنه شديد النفع وعن البعض الآخر إنه شديد الضرر ، ولكنه كان يأكل منها جميعاً سواء منها الممدوح والذميم . ولاحظت أن سائر الموجودين كانوا يأكلون بلا رعاية لما يسمعونه من الطبيب رغم تسليمهم بصدقه

وقد سألني الطبيب أسئلة متعددة عن الطب في بلادي فلم أحر جواباً ، ولذلك اضطررت إلى استعمال الغموض والإبهام فلم يستطع المترجم الفارسي إفهامه ما أريد ، ولولا تدخل النابوب لخجلت وخجل المترجم

وقدمت لي صاحبة المنزل طبقاً به عيدان خضراء مستطيلة فلم أقبل تناول شيء منه . وألحت فزدت في رفضه ، فقالت لي لتحملني على القبول : إن هذا الطعام غالي الثمن . فقلت : « إذا كان غلاء الثمن يجعل الطعام شهيًّا فخير لك أن تأكلي الجنيهات والشيلان الكشمير »

فضحك اللورد من هذا القول ضحكاً عالياً ودعاني إلى شرب النبيذ معه . وسألني المحامي عدة أسئلة تتعلق بالقضاء عندنا . وقد دهش عند ما علم أن ليس عندنا من القوانين غير القرآن ، وقال على كل حال لا بد أن يكون لديكم محامون غير علماء الدين ، أم كيف تعيش دولة بغير محامين ؟ فقلت : « ليس لدينا سوى القضاة والعلماء » ، ثم سألته : « أليس القضاة في انكلترا يركبون حميراً بيضاء ؟ »

لم يجبني المحامي على هذا السؤال وضحك البا قون ضحكاً شديداً ، وأصلحت غلطتي فقلت : « إن الحمير البيضاء عزيزة لندرتها ولا يركبها عندنا إلا وجهاء الناس »

ولما انتهى الطعام قام السيدات كالعادة وظل الرجال يشربون الخمر ، ثم عدنا بعد ذلك إلى غرفة الاستقبال . وكنت قد أعددت قصيدة من نظمي ضمنتها كل عواطف الحب فوضعت تلك القصيدة في يد حبيبتي (بيسي) وقلت لها : إن هذا درس في أدب اللغة الفارسية . وقلت : إنه إذا استعصى عليها فهم شيء منه فلترجع إلي

ففهمت موضوع ما سلمت إليها وقالت : إنها ستضمه في « ألبوم » ولما كنت لا أفهم معنى هذه الكلمة فقد قدرت أنها تعني بها القلب أو الصدر ؛ ولذلك اغتبطت اغتباطاً لا مزيد عليه ، وظهر لي على عينيها علائم الحب الأكيد فلم أعد أبالي بصاحب الشارب القصير والمهماز

وتركتها وإياه واستأذنت في الانصراف فألحت على الأم في الانتظار ولكنني اعتذرت وانصرفت

الفصل الثامن والثلاثون

لقب أمير

قضيت سحابة اليوم التالي مفكراً في الحب ناظماً لأشعار جديدة في موضوعه . وفي اليوم الثالث دعاني السفير فذهبت إلى غرفته ووجدته كالانكليز يمشي في الغرفة ذهاباً وجيئة وفي يده صحيفة ، فلما رآني صاح : « هل يوجد إيرانيون غيرنا في هذه المدينة ؟ »

فقلت : « من يدري ؟ ربما ! »

فأعطاني الصحيفة التي في يده وقال : « من هو هذا المجنون الذي يدعو نفسه البرنس حاجي بابا ؟ إقرأ هذه الصحيفة »

فأخذت أقرؤها وأعجب من عوائد الانكليز كيف يفضحون من يأكل عندهم لقمة فيكتبون في الصحف ما أكل وما شرب . وحدث كرم العرب، فان أحدهم يذبح لضيفه أسمن الماشية ويكتفي لنفسه بحفنة من الشعير ثم لا يكتب ذلك في صحيفة سيارة ولا يتحدث به أمام الناس . وهذا هو المنشور في تلك الصحيفة :

« أقام المستر هوج وعقيلته وليمة شائقة لحضرة صاحب السمو البرنس حاجي بابا وكانت المأدبة جامعة لعظماء كثيرين من الانجليز منهم اللوردسوفتلي والسير هنري كوري وعقيلته والفيلسوف هوهو وغيرهم ، وكان يحقق على قصر المستر هوج الملمان الفارسي والانكليزي. والغرض من هذه الوليمة توثيق علاقات الود بين انكلترا وفارس . وقد قدم الطعام المستر « بينر بينز » الطباخ الشهير بشارع بوند

قال السفير : « هل قرأت ؟ » فقلت : نعم وإن عوائد الانكليز غريبة عجيبة فان الانسان لا يأكل عندهم لقمة إلا ليفضحوه من أعلى المآذن

قال السفير : « ألا تريد أن تعترف بأنك أنت صاحب السمو حاجي بابا الذي تناول العشاء في بيت المستر هوج ؟ »

فقلت : « إذا هم لقبوني أميراً وإذا اختار هؤلاء المجانين أن يلقبوني بالملاك جبريل فما هو الذي أستطيعه لمنعهم ؟ »

فوقف السفير مغضباً وقال : « إذهب من هنا ولا تزد في كلامك ! إن الذي يدعى لنفسه لقباً ليس له ، وينتفع بهذا اللقب كأن يجعله وسيلة للأكل عند الناس فانه يستحق أن يشنق . وإنني والشاه نراقب أعمالك ولن نتركك تضحك على ذقون الناس وتدعي أنك أمير مع أنك ابن حلاق »

فصحت : « والله بالله يا ميرزا فيروز خان إنني لم أفعل ما أستحق عليه هذا التأنيب . لقد أكلت عندهم ، ولكن هذه ليست غلطة ، وهم لقبوني أميراً ولكني لم أقل لهم إني أمير فلماذا تشنقني ؟ أليس عندكم شفقة ؟

ثم علت الأصوات بيننا فدخل سائر أعضاء السفارة ووقفوا بجانب الحائط ينظرون إلينا . أما المعلم الانكليزي فانه لما رأى الحالة وصلت إلى هذا الحد أخذ قبعته وانصرف

ونظر السفير إلى أعضاء السفارة وقال : « ماشاء الله ! أنظروا إلى هذا الشاه زاده ! لقد كنا نعرفه ابن حلاق ؛ أما الآن فإنه أصبح أميراً على حين فجأة وبغير إنذار سابق »

قلت : « ما هذه الكلمات يا سعادة السفير ؟ إنني ابن حلاق، ولكن هذا ليس ذنبي، وأنا تغديت عندهم لأنك تهملنا وليس لي ملجأ في المدينة فلجأت إليهم

فصاح السفير : « أتجرؤ على مخاطبتي بهذه اللهجة ؟ »

واحتدم غيظه وقال : « هل نسيت من أنا يا أقل من أي إنسان ؟ هل تظن أن ميرزا شافعي الذي كنت تحتمي به لا يزال على قيد الحياة ؟ إن ابن

الحلاق فى انكلترا قد يصير أميراً ، ولكن ابن الحلاق الفارسى يظل طول عمره ابن حلاق . إذهب ولا ترنى وجهك بعد الآن »

قلت : « هذا هو كل ما أتمناه » ثم خرجت من عنده مغضباً فصاح بأعضاء السفارة أن يقبضوا علىّ فجروا ورائى وأمسكوا بى ، وأقبل علىّ السفير فضربنى على فمى وقال : « إذا تكلمت مرة أخرى فسأحرق قبر أبيك »

فتخلصت بقوة واندفعت خارج الدار فظللت أجرى فى الطريق وأنا لا أعرف إلى أين أذهب وليس فى لوندرا ملجأ آوى إليه كما هى الحال في طهران . وفكرت فى الذهاب إلى منزل المستر هوج . ولكنى خشيت ألاّ يقبلونى لأنهم إنما اصطحبونى لاعتقادهم أنى أمير ، فان وجدونى شريداً طريداً فلا شك فى طردهم إياى وأحرم إلى الأبد حبيبتى بيسى

وبينما كنت أمشى فى الطريق رأيت فرقة من الجيش أمامها موسيقاها وحولها طائفة من أقذر الانكليز . وكان بعض الجمهور يرمى الجنود بالأحجار فدهشت لهذا المنظر وتوقعت أن يكون من بوادر الثورة . ثم سألت أحد الواقفين لمشاهدة المنظر فأخبرنى بأن هذا الجيش ذاهب ليلقى القبض على رجل سائر اسمه السيد فرنسيس برودت ، عضو البرلمان الانكليزى

فقلت مندهشاً : « أمن أجل القبض على رجل واحد تذهب كل هذه القوة ؟ كيف إذن لو أردتم الاستيلاء على مدينة ؟

ثم شعرت بأن هذه الحكومة ضعيفة جداً وبأنه قد لا تمضى إلا أيام قلائل ثم يقلب فيها نظام الحكم

ولما كان الخطاب الذى ورد أخيراً من الشاه يحث على إطلاعه على كل شىء مما نراه فقد وجدت من واجبى أن أعود إلى السفير وأخبره بما رأيت لأنه لا شىء أهم من وجود ثورة فى البلاد ، وإذا نحن لم نطلعه على ذلك فعلام نطلعه ؟

وخاطرت بأن يضربنى السفير مرة أخرى وعدت إلى دار السفارة راجياً أن يشغله هذا الخبر الجديد عن التفكير فيما جرى بينه وبينى

ولما وصلت إليها كان السفير غائباً ولم أر اهتماماً من زملائى بحادثة الضرب ، لأن ضرب الموظفين أمر عادى مألوف عندنا نحن الفارسيين ؛ وتكلمت معهم فى شأن ما رأيت فتنهدوا ودعوا الله أن يجعل هذه الثورة سبباً فى عودتنا إلى إيران

وقال محمد بك : إن الحالة التى رأيتها دالة بغير شك على قرب حدوث حرب أهلية

وقال لى إن السفير ذهب ، وكان محمد بك يترقب مثلى عودته بصبر نافد لنعد المعدات للعودة إلى بلادنا وقال : « لابد أن تكون الساعة التى سافرنا فيها من أزمير ساعة شؤم . ولو أننا كنا انتظرنا أسبوعاً آخر لما حدثت هذه الثورة . لكن المترجم الملعون خدعنا وأعجلنا ليكون سفرنا مشئوماً وجازف بكل قانون سماوى وأرضى فحملنا على السفر فى غير الساعة الميمونة ! إنها ثورة من الكفار ضد الكفار ولكنها قد تودي بحياتنا فما الذى نفعله يا حاجى بابا ؟

حاولت أن أعزّيه باقناعه أن الخطر قد يكون

أقل مما يتوهم لأن ملك الانكليز قوى وعنده أساطيل ومدافع ولابد أن يتغلب على الثورة ويقتل هذا الثائر وأهله وأصحابه وأبناءه

فهتف جميع أعضاء السفارة : « إن شاء الله ! »

الفصل التاسع والثلاثون

الصلح مع السفير

ولما عاد السفير توسط محمد بك بيني وبينه فقال كلمات لينة ليسترضيه وقال إنني عدت بأخبار هامة

وعندما دخلت رأيت علامات الغضب التي كانت بادية عليه في الصباح قد زالت ونظر إليّ نظرة عادية وقال : « ما الذي تريد يا حاجي بابا ؟ »

قلت : « لدي أخبار هامة ياسعادة السفير فإن الثورة قريبة . وقد رأيت بنفسي الجيوش تتأهب للمسير ولا يعلم غير الله ماذا سيكون من نتائج هذه الثورة ؟ »

فقال : « أهذا هو كل ما عندك ؟ بارك الله فيك يا سمو الأمير ! هل تظن أن هذه دولة مثل دولتنا ؟ هل تقيس الانكليز بأنفسنا ؟ ألا تعلم أن حكومتهم ستطفئ الثورة كما يطفئ أحدنا الشمعة ؟ »

فتدخل محمد بك لمصلحتي وقال إن الثورة ثورة على كل حال ، وإن رأس الانسان قد تطير بضربة سيف من كافر ثائر كما قد تطير بضربة سيف من ثائر مسلم

قال السفير : « اذهبوا إذن واطمئنوا فلن يصيبنا شيء مهما يكن حظ الانكليز من هذه الثورة. وقد تحادثت طويلا مع وزير خارجيتهم فقال لي إن

أطلبوا مؤلفات

محمود تيمور

وهي : الحاج شلبي . الاطلال
أبو علي عامل أرتست . الشيخ عفا الله
الوثبة الأولى . قلب غانية . نشوء
القصة وتطورها

من جميع مكاتب القطر الشهيرة

كتاب « فرعون الصغير وقصص أخرى »

يظهر في نهاية العام

مؤلفات

الاستاذ محمد كامل مجاج

ص
٤٠ بلاغة الغرب جزءان (مختارات من صفوة الأدب الفرنسي والانكليزي والألماني والايطالي مع تراجم الشعراء والكتاب)
٢٠ خواطر الخيال وإملاء الوجدان (متفرقات في الأدب والنقد والفلسفة والموسيقى والحيوان وبه روايتان تمثيليتان)
١٨ نباتات الزينة المشبية (محلى باحدى وتسعين صورة فنية)
١٥ Les Plantes Herbacées (محلى بنفس الصور السابقة)

الكتاب الأول والثاني في جميع المكاتب الشهيرة
وكتب الزراعة تطلب من
شركة البزور المصرية بميدان ابراهيم باشا

الحركة التى ظهرت اليوم لا تستدعى اهتماماً

قال محمد بك : « ولكننا ياسعادة السفير جئنا إلى هذه البلاد لنعقد معاهدات واتفاقيات ؛ فاذا كان مركز الملك مزعزعاً فإن الملك الذى يخلفه قد لا يصادق عليها ، ولذلك أرى أن نستوثق من حالة الحكومة ولا نتفق على أى شىء معها إلا إذا ثبت استقرارها »

فقال السفير : « أصبت يامحمد بك فأين المترجم ؟ متى جاء فاسألوه عن كل شىء ترون السؤال عنه . وا كتبوا كل كلمة يقولها ثم نبعث للشاه بتقرير عن حالة البلاد . وقلت : إنه من الضرورى أن نتحرى كل التحرى لأنه فضلا عن الثورة فقد علمت أن حكومة انكلترا مدينة بدين كبير وهذا يدل على أن حالتها مزعزعة وعمرها قصير

هنا التفت السفير وبدا عليه الاهتمام الشديد وصاح : « أصحيح أنها مدينة ؟ هل أنت واثق مما تقول ؟ إننى لا أتصور لماذا تستدين ؟ أليس فى استطاعة الملك أن يأخذ من رعاياه كل ما يشاء ؟ تحروا عن هذه النقطة فهى أهم عندى من الثورة بكثير . وقد اشتدت دهشة السفير حتى نسي كل شىء غير هذا الموضوع

وعند ما جاء المترجم انصب على رأسه وابل من الأسئلة ، وكان مما قاله السفير : « بالله أخبرنى كيف تجرى الأمور فى بلادكم ؟ فان كل يوم يمر يزيدنى حيرة فى فهمكم ، هل ثار عظماؤكم ؟ وهل جنت الحكومة حتى تعجز عن الوسيلة المؤدية لاطفاء الثورة ؟ هل صحيح أن الجيش تحرك بمدافعه ومعداته لاعتقال رجل واحد ؟ وهل صحيح أن دولتكم مدينة ؟ بالله أخبرنى فان الشاه يقطع رأسى إذا لم أخبره بكل التفاصيل عن هذه الحالة .

فبدل أن يبدو الانزعاج على وجه المترجم رأيناه يضحك كأنه لا يعنيه أن تصاب بلاده بالخراب وقال : « نعم لقد كانت هذه الجيوش ذاهبة للقبض على رجل ثائر ، ولكن الثورات عندنا غيرها فى فارس ، فهناك رجل يثور فتثور معه قبيلته والقبيلة المحالفة وتنتهز القبائل الأخرى المتذمرة هذه الفرصة فتحالف الثوار . والحال هنا ليست كذلك »

فقاطعه السفير قائلاً : « إننى أفهم هذه النقطة ولكن حدثنى عما هو أهم . حدثنى كيف استدنتم ؟ وما هو مقدار دينكم وما معنى استدانة الحكومات ؟ »

فازدادت دهشة المترجم وقال : « ما رأيكم أنتم فى الديون ؟ »

قال السفير : « هي فضيحة وإفلاس » فقال المترجم : « ولكن إذا وفينا ديوننا دفعة واحدة فاننا نعتبر ذلك نكبة وطنية ، ودولتنا لا تتأخر عن الاستدانة الآن لأنها تستغل أموالها فى متاجر تكسب منها أضعاف الربا المستحق على الدين ، ولسنا ندفن أموالنا تحت الأرض كما يفعل الفارسيون

قال السفير : « إذن فما هو مقدار دينكم ؟ »

فقال المترجم : « ألف ومائتا مليون جنيه »

فصاح السفير الله الله ! هل تحسب أننا نصدق هذا الكذب ؟ إن هذا مستحيل ، ولسنا من البهائم حتى نصدق ذلك »

قال المترجم : « ولكن هذه هى الحقيقة »

فقال السفير : « إن ثروة نادر شاه وكنوز

مدينة دلهي وأموال الشاه الحاضر مضافاً إليها ثروة « خونخور » لاتكفي لسداد نصف هذا الدين. إننا قد نصدق أن دولتكم مدينة في مائة ألف جنيه أو نحو ذلك، ولكن ألفاً ومائة مليون مقدار لا يمكن تصوره . إنكم لن تستطيعوا وفاؤه الا إذا ملكتم جميع العالم وجعلتم كل موارده وقفاً على الدائنين » ثم أخذ يردد : « ألف ومائتا مليون ؟ إن فتاح على خان أكبر شعرائنا لا يستطيع أن يختلق أكذوبة أروع من هذه »

قلت : « إننا لانستطيع أن نبلغ الشاه مثل هذه الأكذوبة وإلافانه لا يعود إلي تصديقنا . لقد قلنا له من قبل ما هو أشبه بالصدق من هذا ولكنه لم يستطع تصديقه » وقال السفير : « لقد أصبت ياحاجي بابا ويجب ألاّ نكتب شيئاً عن ذلك إليه . ولا بد أن يكون اشتهرنا في فارس بأننا كذابون لما كتبناه عن الأسطول وعما شاهدناه منذ جئنا إلى هذه البلاد . وإن رؤوسنا لأعز علينا من هذه البلاد ومن كل من فيها

الفصل الاربعون

في مصنع انكليزي

ولما رأى المترجم أننا نخشى زوال ملك الانكليز جعل همه أن يرى السفير المصانع الكبرى . وقد رافقنا السفير في بعض هذه الزيارات .

توسط المترجم في دعوتنا دعوة رسمية لمشاهدة مصنع في مرفأ . وأقيمت لنا حفلة في هذا المرفأ وكنت قد نسيت أسرة هوج منذ ضربني السفير من أجلها فلما استصحبني في هذه الزيارة اعتبرت ذلك علامة على الرضى وعدت إلى التفكير في هذه الأسرة .

وفي استثمار حي

ذهبنا إلى المصنع وهو قصر في جبهة « والوش » فرأينا مالم يكن يخطر لنا ببال، ورأينا الحديد يصهرونه حتى يصير سائلاً مثل الماء ثم يأخذونه ويصبونه في قوالب فيصير بعضه مدافع والبعض مسامير والبعض قنابل والبعض على شكل الكرة . ورأينا المدافع التي في هذا المصنع لو صفت أحدها أمام الآخر لوصلت ما بين طهران وبين تبريز

قال السفير عند رؤيتها : « الله الله ! أبعد هذا تقولون إن دولتكم مدينة؟ ما الذي يحملكم على ذلة الدين ؟ اضربوا دائنيكم ببعض هذه المدافع فيصبحوا في القرار السحيق من جهنم ! كيف تكون دولتكم مدينة وكيف يقولون إنها على وشك الدمار؟ كلا كلا! لا بد من توثيق العلاقات بين انكلترا وبين فارس فان التركمان لا يعودون إلى التمرد علينا متى علموا أننا حلفاء دولة فيها عشرة آلاف مدفع وعشر ملايين قنبلة »

وقد دهشنا أيما دهشة لما سمعناه من البيانات والتفاصيل، واتفقنا على ألا نكتب عن هذا الأمر أيضاً إلى الشاه لأنه من المستحيلات أن يصدق مثل هذا

وكان من بين الضباط الذين رأيناهم في المصنع شاب صغير لازمني . ورأيت زيادة اهتمامه بأمري ثم تبينت سبب ذلك عند ما عرفني بنفسه فقال إنه من أسرة هوج . وعلمت منه أن أسرته مدعوة إلى حضور الوليمة التي ستقام لنا في هذا القصر بعد الفراغ

من مشاهدة المصنع . فاستولى عليّ القلق لأنه لا بد أن يخجلني السفير أمامهم فيفهمهم أنى لست أميراً . ولذلك احتلت للأمر فقلت للسفير باللغة الفارسية : « إذا أردت أن تحرق قبور الذين يلقبونني أميراً فهذه فرصة سانحة لأن الضابط الذى تراه الآن واحد منهم »

ضحك السفير وقال لى برفق : « ما هذه الكلمات ياحاجى بابا ؟ لقد فات ما فات » فقلت : « ان هؤلاء القوم لا يفهمون أحوالنا وعاداتنا وهم يحسبون أننى عظيم مع أني كما تعلم ابن كربلائى حسن حلاق اصفهان »

قال السفير : « لقد قلت فات ما فات فلا تفكر في شيء مضي »

ثم دعينا إلى الوليمة فوجدت بها أصدقائى من أسرة هوج ، وأقبلت الأم ووراءها فتياتها وسلمن عليّ فقدمتهن للسفير وأنا أرجو همساً ألا يفضحني أمامهن ، فضحك السفير وقال باللغة الإنكليزية لزوجة المستر هوج : « إن سمو الأمير حاجى بابا قد امتدحكم كثيراً أمامى وهو رجل عظيم فى بلادنا وهو يحبكم حبًّا مفرطاً »

ولقد كان السفير يريد أن يضحك على ذقنها وذقنى بهذه الكلمات ؛ ولكنها اعتقدت صدق ما يقول واعتبرته جدًّا وأحنت رأسها أمامي عدة مرات ، ويظهر أنها فقدت قدرتها على الكلام فلم يمد فى وسعها إلا أن تكرر : « سعادتك ... ! سموه ... ! من حسن الحظ ... ! »

وفى وسط هذه الحالة لاحظت أن السفير بهر بجمال الفتيات خصوصاً بيسى ، فقال لزوجة المستر هوج : إن سمو الأمير حسن الذوق ! ما شاء الله ! إنكم فى نهاية الجمال وإن الفارسيين مولعون بالجمال

فقالت : « هذه رقة من سعادتك وإن بيسى جميلة وماري محبة للخير » . فقال السفير : « بارك الله فيكم ! » . ثم رأى فتيات أخريات فقال لى بالفارسية : سأتركك لأصحابك وأذهب لأصحابى

ولقد شعرت فى هذا الحين بسعادة لم أشعر بمثلها من قبل لأن السفير أقرنى على أكذوبتى أمامهن . وهنأت نفسى بحسن السياسة التى اتبعتها لأنها جعلت موقفى الحرج من أحسن المواقف ، وأهديت بيسى برتقالة وتنهدت وجعلت طرف معطفى يلمس طرف فستانها ، وهذه عندنا فى فارس علامة على الحب ؛ ولكنى لا أعرف على أى شيء تدل عند الانكليز لأنى أجهل الحب الانكليزى ، وعزمت على أن أتلقى هذا النوع من الحب على أحد الشبان المجربين ، على ألا أخطو خطوة أخرى فى هذا السبيل قبل أن أدرس الطريق

ونظرت إلى السفير والفتيات والسيدات المحيطات به ، فوجدته أمهرمنى فى فن الحب الانكليزى لأن عينيه كانتا تتحدثان بما تفهمه الفتيات ، فتملو وجوههن حمرة الخجل . وما أشد وضاءة الوجوه التى تملوها هذه الحمرة ! لقد قلت فى نفسى إنه متى جاء اليوم الذى أتمكن فيه من إخجال حبيبتى بيسى فانى فى غده أصبح زوجاً لها . ولقد شاهدت الشبان الإنكليز يخجلون فتضيء وجوههم أيضاً فقلت : « من لى بأن أصبح مثلهم ! إننى

سأحلق ذقنى لأنه من المستحيلات أن يضىء الوجه وفيه هذه اللحية الملعونة ! »

جلسنا حول المائدة وتبسط السفير كل التبسط مع الفتيات وأهمل السيدات كل الإهمال ، وبدت منه ضروب مختلفة من الحب الانكليزى ، فمن ذلك أنه كان ينحنى ليلتقط الفقاز الذى يرميه عن عمد أمام إحدى الفتيات . ولقد تجاوز استياء السيدات حد الاحساس فتكلمن به

قالت إحداهن : « هذا تصرف عجيب ! »

وقالت أخرى : « هذا يعدل إلقاء المنديل عند الفارسيين »

وعلى أثر التحدث بهذه الكلمات قال لى أحد الضباط : « هل من علامات النزل عندكم أن يقذف الرجل بمنديله فى وجه فتاة ؟ »

فقلت : « هذا غير صحيح ، فاننا لا نستعمل المناديل كما تستعملونها أنتم ، بل لنمسح فيها أيدينا بعد الأكل ولنغلى فيها الأرز عند السفر »

فاعتذر لى الضابط من سؤاله ، ولكن دهشته زادت ، وشكرنى على هذه المعلومات وتحدث بها مع جاره

ولما قام السفير شعرت الفتاة التى كان يغازلها بأنها انتشلت من هاوية ، وقد كانت أمها تشعر فى أثناء المغازلة بأنها فى السماء السابعة

وعدت إلى دار السفارة وأنا أفكر فى الوسائل الجدية المؤدية إلى نجاحى فى الحب

الفصل الحادى والأربعون

عاجى بابا يتعلم فن الحب

لما استيقظت فى اليوم التالى وقفت أمام المرآة فرأيت شعرات بيضاء فقلت فى نفسي : « يستحيل أن أبقى هكذا فى حالة شك ، ولابد من اتباع طريق حاسم فى حبى فإن الشعر الأبيض قد ظهر ، وإذا تأخرت قليلاً استحال أن تقبلنى إحدى فتيات الكفار ولو كنت على بن أبى طالب . وتذكرت الحديث الذى دار للمرة الأولى بينى وبين الفتيات وأمهن فانبعث فى نفسى بريق من الأمل وقلت فى نفسى : متى أصبح فى جيبى المهر الكبير الذي ستدفعه بيسى أو إحدى أخواتها فانه لن يصير فى وسع رجل فارسى مهما كانت منزلته أن يعيرنى بأن أبى حلاق

ثم تناولت ديوان حافظ الشيرازى لأرى استخارة فيه أعرف منها بختى ، فوجدت بيتاً معناه : « اقتطف الوردة التى أعجبتك ، ولكن احذر أن تجرح الأشواك أصابعك » فقلت : « هذا فأل حسن وسأقتطف هذه الوردة . أما الشوك الذى يحذرنى منه فانى لا أخشاه ، لأنى كنت منذ نشأت معرضاً أصابعى له ، ومهما تكن المتاعب التى سأعانيها بسبب هذه الفتاة فانها لا تكاد تذكر بالقياس إلى ما عانيته من المتاعب فى مختلف الشئون

بقيت طريقة العرض وهى أصعب الطرق هنا ، لأننا نحن الفارسيين نرسل خاطبة عجوزاً تستطيع التأثير على الفتاة ، وإذا ردّت الخاطبة فان الشاب لا يتحمل خجلة الرد فى وجهه . وأخذت أسائل

نفسي هل أقدم لها الهدايا أم لم يحن بعد وقتها ؟ وهل أسأل المترجم عن عوائد هذه البلاد فى مسألة الزواج أم لا أسأله ؟ وقد استقر بي الرأي على ألا أخاطبه فى هـذا الشأن حتى لا يرتاب فى أنى أريد الفرار بمعض بنات جنسه

وبعـد تردد طويل قلت فى نفسى إن عوائد الزواج لابد أن تـكون مشتركة بين كافة الطبقات من جنس واحد ودين واحد . وبوابنا الانكليزى رجل بسيط ساذج ويمكننى أن أعرف منه ما أردت دون أن أستثير ظنونه . وكان هـذا البواب قد تزوج حديثاً واعتاد أعضاء السفارة أن يسخروا منه، ووجدت منه عطفاً ومودة بعد أن ضربنى السفير ، فذهبت إليه وسألته هل هو مسرور بعد زواجه . ثم أخذت أسأله عدة أسئلة فقص علىّ تاريخاً طويلا بعضه مفهوم والبعض غير مفهوم ، ولـكن النقطة التى أريد معرفتها جاءت واضحة فى جوابه

قال إنه طلب يد خطيبته فى يوم ممطر ، والقصة أنه زارها وخرج معها وأبويها ، فلما أمطرت الدنيا وقف هو وخطيبته تحت شرفة ووقف أبواها تحت شرفة أخرى، فاجترأ وقال لها إنه يحبها ويريد التزوج منها فوافقته فى الحال

قال : « وما كنت أتشجع على هذا الطلب لولا تلك الظروف » فقلت فى نفسى هذه أحسن طريقة للخطبة . وإن شاء الله ستتهيأ لى مثل هذه المصادفة وأكون ماشياً مع حبيبتى بيسى ويكون أبواها وراءنا فتمطر الدنيا وأقف تحت شرفة ثم أقول لها أريد أن أتزوج منك فتوافق

سررت جداً من هذه المعلومات وأدركت أن جميع الانكليز يتزوجون فى الشتاء تحت الشرفة

وفى يوم من الأيام أمطرت الدنيا فانتهزت هذه الفرصة وهرولت إلى منزل المستر هوج فاستقبلتنى على الباب زوجته وبناته الثلاث ، وفيهن حبيبتى بيسى . والغريب فى أمر الانكليز أن الشتاء لايعوقهم عن نزهتهم اليومية لأن الدنيا تكاد تشتو عندهم كل يوم . وقد رحبن بى وسررن من مجيئى على غير انتظار . ودعونى إلى مرافقتهن فى التنزه . وبعد قليل جاء المستر هوج فوضع ذراعه فى ذراع زوجته ووضعت ذراعى فى ذراع بيسى وسبقتهما . ومشت مارى وصغرى أخواتها وراء أبويهما، وكانت معى المظلة التى اشتريتها لهذا الغرض

سألت الأم : « إلى أين نذهب ؟ »

فقالت : « لسنا نريد الذهاب إلى مكان معين فامض حيث شئت ونحن نتبعك وهكذا عادة الانكليز إذا خرجوا للتنزه تسكعوا فى الطرقات لا إلى مكان معين !

فقلت لها: «هل نذهب إلى الـكنيسة ؟» فابتسمت وقالت : «إن الـكنائس لاتفتح إلا فى يوم الأحد» فاستغربت جداً وقلت : « إن المساجد عندنا تفتح كل يوم ليصلى فيها الانسان عندما يريد »

ثم مشيت واشتد المطر فوقفت مع بيسى تحت الشرفة وقلت فى نفسى : « بسم الله الرحمن الرحيم » ثم هممت بأن أقول لها إنى أريد الزواج منها ولكن الأم أتت على غير انتظار وقالت : إن الوقوف هنا غير مناسب لأن تيار الهواء شديد فى هذه الجهة .

فتابعنا السير عائدين إلى المنزل

وفى هـذه الأثناء وقفنا تحت شرفة أخرى ووقف الأبوان وبنتاهما بالقرب منا تحت شرفة أيضاً واستمعت وسمعت وقلت لها : « يا بيناتى الجميلة، أريد أن أتزوج منك» فقالت بحدة : « ماذا ؟» ثم امتقع لونها وسحبت يدها برفق من يدى ولم تقل كلمة أخرى

وتقدمت نحو أمها فمشيت إلى جنبهما وأنا فى نهاية الخزى وقد سمعتهما تتكلمان ولكن رأسى كانت مصابة بالدوار، فلم أفهم مادار بينهما من الحديث

وقد كان سيرنا فى المرحلة الباقية من الطريق سريعاً جداً. ولما وصلنا إلى الباب لم أنتظر أن يدعونى أحد للدخول بل استأذنت وأسرعت إلى دار السفارة وأنا أعزى نفسى عن حبيبتى بيسى بقولى إنها ليست إلا امرأة كسائر النساء

الفصل الثانى والأربعون

شرطة حاجى بابا

بسبب جهلى عوائد الفرنجستان لم أستطع الوثوق بما كنت أرجوه من التزوج بالفتاة ، فلم أفش ذلك السر ولم آمل ولم أيأس وإنما استسلمت للتفكير . وفى اليوم التالى لتلك النزهة طلبنى السفير فذهبت إليه ونفسى تحدثنى بالشر فقال عند ما رآنى : « تعال هنا يا رجل ! ألا تريد أن تترك الناس وشأنهم ؟ لقد أسأت إلى سمعتنا فى هذه المدينة »

قلت : معاذالله ! لماذا ؟ فقال: « نعم لقد أسأت إلى سمعتنا فأنت لم تكتف بادعائك أنك أمير بل حدثتك نفسك بأن تتزوج من كل فتاة تصادفها فى الطريق ولو كانت نصرانية ، فقل لى كيف ذلك ؟

قلت : «إننا الآن فى دولة كل شئونها غريب ، فمن الذى يتهمنى بأنى أريد أن أتزوج؟ ومن أناحتى

سنـــدباد عصرى

فى سفينة مصرية

رددت أخبارها صحف العالمين

الانسانية فى شتى مظاهرها تطالعك من صفحات

سندباد عصرى

بقلم

حسين فوزى

١٢ قرشاً أطلبه اليوم من المكاتب ١٢ قرشاً

رفائيـــل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

أحمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

الثمن ١٢ قرشاً

أهم بالزواج فى هذه البلاد ؟ لقد رأيت في بلادى من الزوجات والأصهار ما فيه الكفاية ولن أجرب حظى مرة أخرى » فقال لى السفير : « ألا تخجل من الكذب أيها الرجل ؟ لقد جاءنى اليوم رجل يسأل عنك وقال لى إنك تخطب ابنته »

قلت : « بالله يا سعادة السفير من هو هذا الرجل وماذا قال ؟ » فأجابنى السفير : « لقد سألنى هل أنت من أسرة طيبة ؟ وهل أنت أمير ؟ وهل لقبك وراثى ؟ وهل لك ممتلكات وما هو إيرادك ؟ »

قلت : « وبالله ما ذا كان جوابك ؟ »

فقال : « بما ذا أجيبه ؟ لقد قلت له إنك لست أميراً وإنك ابن حلاق وإن كل ما ورثته عنه هو موسى وفرشاة. ماذا كنت تريد أن أقول غير ذلك ؟ »

قلت : « وهل هذا الرجل طويل أو قصير ، وسمين أم نحيل ؟ » فقال : « هو رجل سمين جداً هرم اسمه المستر هوج »

فوقفت أمامه مبهوتاً كأننى صنم وغضبت على نفسى وعلى العالم بأسره

قال السفير : « ما هذه الفضيحة التى جلبتها على نفسك يا حاجى بابا ؟ لقد أردت أن تعظم من قدر نفسك فما ازددت إلا حقارة . قل لى ما الذى فعلت ؟ ما الذى حدث ؟ » . فقلت : « والله بالله لم يحدث شيء يستحق الذكر ولقد فات ما فات »

قال السفير بلهجة بين الجد والسخرية : « تكلم يا حاجى بابا ! تكلم ! ماذا أصابك وأنت غريب فى هذه البلاد ؟ . أخبرنى ماذا قلت عن نفسك ولماذا ادعيت أنك أمير ؟ » . قلت : « لقد أقسمت أننى لم أدع الإمارة ، ويظهر أن أهل هذه البلاد يصفون كل إنسان بأنه أمير »

غضب السفير وقال : « هل تجيبنى بالحق أم أستجوبك رسمياً . إننى أقسم بذقن الشاه إذا لم تخبرنى بالحقيقة فانى أربطك بالحبال وأتركك مقيداً حتى تعترف »

فقلت : « إن قصتى بسيطة وهى أننى رأيت بنت هذا الرجل ، وإذا أذنت بأن أكون صريحاً فإني أعترف بأنى أحببتها وطلبت إليها أن تتزوج منى ؟ وأقسم بالخبز والملح الذى أكلته عند الشاه، وبالأئمة الاثني عشر أن هذه هى الحقيقة »

وفى هذا الحين دخل محمد بك فأعاد السفير أمامه هذه القصة وأشركه فى السخرية منى والاستهزاء بى فقال محمد بك : « لقد أخطأت يا حاجى بابا وأصاب السفير فى قوله إنك أسأت إلى سمعتنا فى هذه البلاد ونحن لسنا فى فارس حتى تستطيع الزواج من نصرانية ثم تدعوها إلى دين الاسلام »

فقلت وما يدريك أنها لا تسلم ؟ إن الحب يأتى بالعجائب والغرائب »

قال السفير : « ما هذه الكلمات التى تلقيها جزافاً ياحاجى بابا ؟ ألا تعلم أن مئات الآلاف من أهل هذه البلاد يشتغلون بالتبشير ليحولوا أهل بلادنا إلى المسيحية وفيهم من يؤلف كتب التبشير ومن يترجمها إلى لغتنا ومن يطبعها ومن يوزعها ومن يذهب إلى أقاصى الأرض ليبث تعاليمها، فهل تحسب فتاة من هذا الجنس تغير دينها من أجل سواد عينك ؟ »

قال محمد بك : « وهب أنها أسلمت فكيف تثق

بأنها غيرت اعتقادها ؟ » فقلت : « انني أحنى يديها وقدميها وألبسها ملاءة وأضع على وجهها برقعاً فتصير مسلمة »

قال محمد بك : ليعف الله عنا ! يظهر أن حاجى بابا أصيب بالجنون

وقال السفير : « لقد خدعك الشيطان ياحاجى بابا ألم يكف ما وجدته من حب زينب وشكر ليب؟ »

وقال محمد بك : « صدقني ياحاجي بابا : لو نجحت هذه الأمنية فانك تشقى بها طول عمرك . أليس فى فارس فتيات يصلحن للزواج ؟ »

قلت : « نعم ولكن ليس عندهن من المال مثل الذى عند الفتيات فى هذه البلاد » فصاح السفير : « المال ! هل عند خطيبتك مال ! »

قلت : « نعم » فسألنى الرجلان فى وقت واحد عن مقداره

قلت : « مائة ألف جنيه » فقال السفير : « والله والله ان هذه صفقة رابحة ياحاجى بابا . فى أى شارع تقيم وما رقم منزلها ؟ »

وقال محمد بك وهو يتنهد : « وهل فى البلاد فتيات كثيرات يملكن مثل هذا القدر من المال ؟ » فقلت : « إن الجزء الأعظم من فتيات الفرنجستان يملك الأموال الطائلة لأن الآباء هنا يعنون بالبنات مثل عنايتهم بالبنين »

عاد محمد بك إلى تنهده وقال : إن المال أنفس شىء فى الحياة. فقال له السفير : « أهكذا أيها المفلس الخاسر تغير رأيك على عجل لأنك سمعت ذكر النقود؟ هل النقود تجعل النصرانية فى حكم بنات الاسلام »

فقال محمد بك : « ولماذا تصير فى حكم بنات الاسلام ؟ إن الزواج من النصرانية وهى على دينها جائز فى الشرع الاسلامى ، وقد تزوج النبي عليه الصلاة والسلام من مارية القبطية »

قال السفير : « مرحى لك يا محمد بك ! أنت أكبر العلماء والمفتين . إننى أظنك فى غد ستكحل عينيك وتزجج حاجبيك لتوقع فى شراكك الفتيات النصرانيات . اطمئن ياحاجى بابا فاذا جاء صهرك مرة أخرى فسأخبره بأنك ابن وزير كبير أصبح الآن فى جهنم بحمد الله . فاعرف لى من أين طريق المال ونقتسم ، فلك العروس وأنا أكتفى بالمال »

قال ذلك ثم طردنى من حضرته

الفصل الثالث والأربعون

رسيسة المترجم

لما خرجت من عند السفير وجدت فى انتظارى بغرفتى ذلك الضابط الشاب الذى رأيته فى مصنع (ولوش) والذى يمت بصلة القرابة لأسرة هوج فصافحته، وبعد أن سألته عن صحته وسألنى عن الجو قال إنه آت من قبل المستر هوج وزوجته ليتحدث معى فى أمر الزواج الذى طلبته وأكد لى أن الأسرة شاكرة لى تشريفها بهذه العناية . فسررت من كلامه كل السرور وقلت له : « متى كانت الحقيقة كذلك فان بقية الأمر تصبح فى نهاية السهولة

ثم تكلم عن اختلاف الجنس والدين وأشار إلى أنه لا بد من إتمام الطقوس فى الكنيسة فلم أبد على ذلك أقل اعتراض ، ولكنى سألته : ما هى هذه

الطقوس ففهمت أنهم ينادون عليّ فى الكنيسة كما ننادى نحن فى فارس على الخيل التى تباع بالمزاد، ثم أحصل على شهادة خاصة من بعض الأطباء ثم اذهب إلى الكنيسة مع قريبته فأضع فى أصبعها خاتماً من الذهب وإذا تم ذلك لم يبق إلا أن نبتعد عن وجوه الناس مدة شهر كامل ثم نعود زوجين

بعد أن سمعت ذلك حاولت إقناعه بأن الزواج وفق عوائدنا أسهل ، وأكدت له أننى لا أريد أن يعقد الزواج فى مسجد لأن ذلك ليس من عوائدنا بل يتقابل وكيلى ووكيلها مع الشهود فى أى مكان ومتى تم الاتفاق بين الوكيلين يأتى أصحاب الزوج به راكباً جواداً . وقلت له إننى أعدل الشطر الأخير فتأتى العروس راكبة عربة

فلم يظهر على الشاب الرضى عن هذا الاقتراح وقال لى إن أبا الفتاة سيهديها مبلغاً كبيراً من المال وأنه يريد أن يعرف ممتلكاتى وإيرادى . وعند هذا السؤال تذكرت أننى لما تزوجت للمرة الأولى فى فارس من شكرليب كذبت على أهل زوجتى فقلت لهم : إنى أملك كيت وكيت مما لست أملك فى الواقع شيئاً منه . ورأيت نتائج الكذب فى هذا الموضوع سيئة العواقب جداً . ولذلك صممت على عدم التسرع الآن بما قد يكون سيئ النتائج فى الغد

وبالرغم من شدة رغبتى فى هذه الزيجة فقد قلت إنه لا بد من التفكير بصفة جدية فيما أجيب به . وقلت : « إننى راغب فى هذه المصاهرة أشد الرغبة ولكن الأمر جدي ولا بد فيه من التروى والتفكير فأشار بأنه لا بد من اعتناق للدين المسيحى، فأريته أنى فهمت الاشارة وأنى لا أعارض فى ذلك ولكنى أطلب مهلة للتفكير

قام لينصرف ولكنه عاد للكلام وكأنه ذكر شيئاً هاماً وقال : « أنت تعرف أن الأب يريد الاطمئنان على مستقبل بنته . ولذلك كان من حقه أن يتحرى بكل وسيلة . وقد أرسل إلى رجل يعرفك فجاءه هذا الخطاب وأنا أطلعك عليه وأرجو إن كانت عندك ملاحظة عليه أن تبديها وسننظر فى ردك نظرة اعتبار وتقدير . وهذا هو الخطاب »

فأخذته منه ولما كانت فيه كلمات كثيرة لا أعرف معناها فقد نسخته لأتفهمه مع البواب الانكليزى فيما بعد . وهذه صورة الخطاب :

إلى المستر الكسندر هوج :

تشرفت بتسلم خطابك الذى تسألنى فيه عما إذا كنت أعرف البرنس حاجى بابا ، وعما إذا كنت أستطيع إخبارك عن إيراده وعما يملكه وعما إذا كانت معلوماتى عن أخلاق الفارسيين وعوائدهم تكفى لتشجيعك على تزويج كريمتك من رجل فارسي

وإنى أشكر لك حسن ظنك . أما عن السؤال الأول فإن حاجى بابا ليس أميراً ولكنه ابن حلاق فى أصفهان . وأما عن السؤال الثانى فانه لا يملك شيئاً غير الثياب التى على جسمه . وأما عن السؤال الثالث فلا أرى لك أن تزوج كريمتك من رجل فارسى، وقد أكون مخطئاً ، ولكنك على كل حالى تسألنى عن رأيى . فالمرأة فى فارس ليس لها أى حق معترف به [1] ولا تسلم فى يوم من الأيام من

(١) ليذكر القارئ أن هذه الرواية كتبت منذ مائة عام

آلام الغيرة والغضب والانتقام التي يصب الزوج جامها على رأسها. وإن الخلق الأساسي في بلاد الشرق إنما هو الاستبداد. ويمتاز حاجي بابا نفسه عن أكثر جنسه بسعة الصدر ودماثة الخلق وسرعة الفهم ولكنه فقير مسرف. والفقر أساس كل رذيلة إن كان مصحوباً بالاسراف. وإن كثيراً من الرذائل التي تقدم ذكرها موجود هنا بين بعض الانكليز كما هو موجود في فارس، ولكن الأمر نسبي

ومع ذلك فقد أعربت عن رأيي والرأي لك

مترجم السفارة الفارسية

وبعد أن نسخت صورة الخطاب دفعته إليه فاستأذن وانصرف. وذهبت إلى البواب الانكليزي فقرأت معه الخطاب وأفهمني معناه حرفاً فحرفاً فغضبت وكتبت هذا الخطاب باللغة الانكليزية إلى المستر هوج:

صديقي العزيز

أقسم بشرفي أن مترجم السفارة رجل سيء. لماذا يكتب خطابا كله أكاذيب؟ لقد قال إني ابن حلاق ولقد كنت كذلك في وقت من الأوقات ولكنني الآن ميرزا ... لماذا يكذب إذن؟ يقول إنني لا أملك غير ثيابي ... ما شاء الله! إن الشاه غني وأنا من أتباع الشاه وهذا يكفي ... ما الذي يريده المترجم غير ذلك؟ لقد كذب على الفارسيين وشتم نساءهم فأين رأى امرأة فارسية حتى يحكم عليها؟ إن نساءنا محتجبات وهو يشتم كل الرجال الفارسيين ولكن هذه أكذوبة أخرى

سلامي إليك وإلى أهل منزلك

حاجي بابا

وبعد أن أرسلت هذا الخطاب إلى المستر هوج شعرت براحة الضمير وعزمت على إقناع السفير بأنه إن كانت سمعة الفارسيين قد ساءت في هذه البلاد الأجنبية فإن ذلك ليس نتيجة لغلطتي بل هو نتيجة لتشهير المترجم

وقد اقتنع السفير بذلك فيما بعد وعاتب المترجم ولكن هذا اللعين كان في كل يوم يختلق عذراً جديداً عن كتابة هذا الخطاب

(يتبع) عبد اللطيف النشار

إشتراك الصيف

تقبل ادارة الرسالة والرواية الاشتراك الشهري في المجلتين أو في احداهما نسهيلا على حضرات القراء في زمن الصيف ومقدار الاشتراك في الرسالة أربعة قروش وفي الرواية قرشان ترفع سلفاً

العدد الممتاز

أعدنا طبع العدد ٢٤٦ وهو العدد الهجري الممتاز فمن أراد اقتناءه فليطلبه من إدارة الرسالة بالسعر العادي وهو عشرة مليمات غير أجرة البريد

(طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدي رقم ٧)